

الدكتور يوسف القرضاوي

عقائد الإسلام

(٢)



حقيقة التوحيد

الناشر : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت : ٩٢٧٤٧٠

نام کتاب/ حقیقه التوحید

مولف / قرضاوی

ناشر / انتشارات ذو الفقار

تیراژ / ۲۰۰۰ جلد

تاریخ چاپ / زمستان (۱۳٦٦)

نوبت چاپ/ دوم

قیمت/ ۳۵۰ ریال

چابخانه / امیر

الايمان بالله أصل العقائد كلها

ان الايمان بالله ـ أى بالذات الغيبية العلوية المختارة القاهرة الجديرة بالطاعة والعبادة ـ هو روح الدين ، أى دين ، وكذلك هو روح الاسلام ، وأصل عقائده كلها ، كما بينهـا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ٠

فهـذا القرآن الكريم حين يتحـدث عن أركان الايمـان ومتعلقاته يجعل الايمان بالله اولها واصلها كما فى قوله تعالى : ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله))(١) ، وقوله : ((ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين))(٢) ((ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسـوله والكتاب الذى انزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا))(٣) ٠

---

(١) البقرة : ٢٨٥ ٠ (٢) البقرة : ١٧٧

(٣) النساء : ١٣٦ ٠

والرسول الكريم يقول فى حديث جبريل المشهور حين سأله عن الايمان : « الايمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وبالقدر خيره وشره » ٠

فالايمان بالله هو الأصل ، وكل أركان العقيدة الأخرى مضافة اليه وتابعه له ، فانت بعد أن تؤمن بالله جل شأنه ، تؤمن ــ بالتالى ــ بملائكته وكتبه ورسله ولقائه وحسابه وقضائه وقدره ، فالايمان بهذه كلها فرع عن الايمان بالله ، ومبنى عليه ٠ ولا يتصور الايمان بالرسول الا بعد الايمان بالمرسل ، ولا بالجزاء والحساب الا بعد الايمان بالمجازى والمحاسب ٠

والايمان بالله ، يتضمن الايمان بوجوده بالضرورة ، والايمان بوحدانيته فى ربوبيته والوهيته ٠٠ والايمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، التى يتجلى فيها اتصافه بكل كمال يليق به ، وتنزهه عن كل نقص ٠٠

وقد تبين لنا من دراستنا السابقة : أن وجود الله تعالى حقيقة لا ريب فيها ، بل هى أظهر الحقائق على الاطلاق ،شهدت بذلك الفطر السليمة ، ودلت على ذلك العقول الرشيدة ، وأكد ذلك الراسخون فى العلم بما شهدوا فى الآفاق وفى أنفسهم من عجائب الابداع والتسوية والتقدير والهداية ٠

واذا كانت هذه الحقيقة الكبرى قد خفيت على بعض الناس ، فذلك على نحو ما قيل : من شدة الظهور الخفاء ٠

وادا كان آخرون قد كابروا الفطرة المشتركة بين البشر ، وعاندوا منطق العقل والعلم ، وجحدوا بالله تعالى ، فهم بمثابة الشذوذ الذى يثبت القاعدة ولا ينفيها ٠

تركيز الاسلام على التوحيد

والحق ان الاسلام لا يركز على الايمان بوجود الله تعالى لاعتباره ذلك ضرورة فطرية ، ولكنه يركز غاية التركيز على عقيدة أخرى ، ضل الناس فى شأنها ضلالا بعيدا ٠ وتلك هى عقيدة التوحيد التى هى لب عقائد الاسلام ، وروح الوجود الاسلامى . الايمان بالله واحد فوق هذا الكون ، له الخلق والأمر، واليه المصير ، هو رب كل شيء ، ومدبر كل أمر ، هو وحده الجدير أن يعبد ولا يجحد ، وأن يشكر ولا يكفر ، وأن يطاع ولا يعصى ، ((**ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير**))(١) ٠

لقد جاء الاسلام والشرك بالله ضارب أطنابه فى كل أنحاء العالم ، ولم يكن يعبد الله وحده الا أفراد قلائل من الحنفاء فى جزيرة العرب ممن يتعبدون على ما بقى سالما من ملة ابراهيم ، أو بقايا من أهل الكتاب ، سلموا من تأثير التحريفات الوثنية التى أفسدت الأديان الكتابية ٠

---

(١) الانعام : ١٠٢ ـ ١٠٣

وحسبنا أن نعلم أن أمــة كالعرب فى جاهليتها غرقت فى الوثنيــة الى اذقانها • حتى أن الكعبة التى بناها محطم الأصنام لعبــادة الله وحده بات فى جوفها وحولهــا ثلاثمائة وستون صنما ، وحتى غدا فى كل دار من دور مكة صنم يعبده أهلها •

بل روى الامام البخارى عن ابى رجاء العطاردى قال :

« كنا نعبد الحجر ، فاذا وجدنا حجرا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الحجر الآخر ! • فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة ، فحلبنا عليه ، ثم طفنا به ! » •

واكثر من ذلك انهم كانوا يتخذون الهــا من « العجوة » ، وكثيرا ما كان يصطحبه أحدهم فى سفره ، فاذا فنى زاده وغلبه الجوع لم يجد بدا من أن ياكله ! والى هذا النوع من الآلهة يشير القرآن بقوله : **« وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه • ضعف الطالب والمطلوب »**(١) •

وفى بلد كالهند بلغت الوثنية أوجها فى القرن السادس لميلاد المسيح ، حتى قدر عدد الآلهة حينئذ بـ ٣٣٠ مليونا •

حتى الأديان السماوية دخلتها الوثنية فكدرت صفاءها ، ولوثت نقاءها **«وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى: المسيح ابن الله »**(٢) فالمسيح عند النصارى اله حق من اله حق !

---

(١) الحج : ٧٣ • (٢) التوبة : ٣٠

وهذا لون من الشرك انتشر في كثير من الأمم ان لله أبناء او بنات يعبدون من دون الله ، أو مع الله ، كما زعم ذلك الهنود قديما مع كريشنا وبوذا • وكما زعم العرب بالنسبة للملائكة الذين قالوا عنهم : بنات الله ! وفى ذلك يقول القرآن : **((وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون • لا يسبقونه بالقول ، وهم بامره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون))**(١) •

من أجل هذا عنى الاسلام كل العناية بالدعوة الى توحيد الله تعالى ، علما وعملا ، ومقاومة الشرك اعتقادا وسلوكا • **((والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم))**(٢) •

دلالة الفطرة على وحدانية الله تعالى :

لقد دلت على وحدانية هذا الاله وتفرده كل الدلائل فطرية وعقلية وسمعية • فالانسان اذا ترك لفطرته وجبلته ـ دون تدخل أو تلقين ـ يجد نفسه متجها الى قوة عليا فوق الانسان وفوق الكون ، يدعوها رغبا ورهبا ، ولا سيما عندما تاخذ بخناقه الشدائد ، وتعصف به الكروب ، وينفض يده من عون الناس من حوله ، هنالك يتجه مخلصا الى ربه ، طارحا ماكان يتوجه اليه ـ بتاثير الوهم ، أو الجهل أو الهوى ، أو البيئة ـ من

---

(١) الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨ (٢) البقرة : ١٦٣

آلهة زائفة من البشر او الحيوان أو النبات او الجماد ٠

وهذا ما اشار اليـه القرآن فيما ذكرناه من قبل من قصة ركاب السفينة المشرفة على الغرق ((حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بها بريـح طيبة وفرحـوا بها جاءتها ريح عاصـف وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصـين لـه الدين : لئن انجيتنـا من هـذه لنكونن من الشاكرين)) (١) ٠

وقد ذكرنا هذا مثلا باعتباره دليلا على وجود الله تعالى ، وهو نفسه دليل على وحدانيته ، فان الانسان حين تجرد من العوامل الطارئة ، ورجع الى خالص فطرته ، لم يتجه بدعائه ساعة الشدة والأزمة الى الصنم أو الوثن ، بل اتجه الى الله وحده ربه ورب كل شيء كما قال تعالى فى وصف نفسية هؤلاء المشركين ((دعوا الله مخلصين له الدين)) ٠

دلالة العقل

دل العقل كذلك على أن وراء هذا الكون مكونا واحـدا ٠ فهـذا الكـون المريض الفسـيح ـ على تنـوع ما فيه من مخلوقات ، صغيرة وكبيرة ، حية وجامدة ، ناطقة وصامتة ، عاقلة وغير عاقلة ، علوية وسفلية ـ تحكمه قوانين واحدة ، تنطبق على الذرة ، كما تنطبق على المجرة ، حتى ان العالم

---

(١) يونس : ٢٢ ٠

الطبيعى حين ينظر الى الذرة يجدها فى تكوينها مشابهة للمجموعة الشمسية فى تكوينها ولا فرق ٠

هناك قانون عام كقانون (الزوجية) أعنى الازدواج أو الثنائية فى المخلوقات كلها ، عرفه الناس قديما فى الانسان والحيوان فى صورة الذكورة والأنوثة ، ولا حظوه فى بعض النباتات كالنخل ٠ ثم اكتشف العلم أن النباتات كلها فيها تذكير وتأنيث ٠ بل الجمادات فيها هذا الازدواج فى صورة الموجب والسالب فى الكهرباء ونحوها ٠ بل الذرة الى هى لبنة البناء الكونى كله تتكون من شحنة موجبة وأخرى سالبة الى جوار النواة ٠ وكان هذا الاكتشاف العلمى الحديث تصديقا لما جاء به القرآن منذ أربعة عشر قرنا حين قرر هذه الحقيقة بمثل قوله تعالى : ((**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**)) (١) وقوله سبحانه : ((**ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**))(٢) وهذه الكلية «كل شىء» حقيقة لا مجازية ولا أغلبية ٠

ومن الدلائل على وحدة هذا الكون : ما نشاهده بين أجزائه من تعاون وتناسق وتناغم ، بحيث يؤدى كل جزء منها مهمته بانتظام دون ان يصطدم بالأجزاء الأخرى أو يعوق سيرها ، أو يجور عليها ٠ بل بالعكس يمدها بما تحتاج اليه مما عنده ،

---

(١) يس : ٣٦ ٠ (٢) الذاريات : ٤٩ ٠

ويأخذ منها ما يفتقد هو اليه مما عندها ، كما رأينا من المبادلة القائمة بين المملكة الحيوانية والمملكة النباتية • فهل عقدت اتفاقية بينهما لتحقيق هذه المقايضة الضرورية لحياة كل منهما؟ أم أن هناك مدبرا أعلى نظم العلاقة بين المملكتين على هذا النحو العجيب ؟ •

ومن الذى نظم العلاقة بين الشمس والأرض ، وبين الأرض والقمر ، وبين القمر والشمس ، وبين كواكب المجموعة الشمسية بعضها ببعض ، وبين المجموعة الشمسية وملايين المجموعات النجمية الأخرى فى مجرتنا الكبرى ، وبين مجرتنا وملايين المجرات الأخرى ، بحيث تتعاون ولا تتصادم ؟ فكل شىء بحساب وميزان ((**الشمس والقمر بحسبان • والنجم والشجر يسجدان• والسماء رفعها ووضع الميزان**)) (١) ((**لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**))(٢)

ان هذه الوحدة المشهورة بعين البصر وعين البصيرة فى الخلق كله • لدليل ناصع على وحدة خالقه كما أنه ــ بالضرورة ــ دليل على وجوده •

ولو كان وراء هذا الكون أكثر من خالق لاضطرب نظامه ، واختل ميزانه ، ورأينا أثر كل خالق فى الجزء الذى خلقه وهيمن عليه • وبذلك تختلف النواميس الكونية ، وتتناقض سنن

---

(١) الرحمن : ٥ ــ ٧ (٢) يس : ٤٠

الخلق ، نتيجة لاختلاف ارادات الخالقين ، وهذا يؤدى بالتالى الى فساد الكون كله لا محالة ٠

وفى هذا الدليل الكونى يشير القرآن الكريم حيث يقول عن السموات والأرض « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون** » (١) ٠

وفى سورة أخرى يقول القرآن :

« **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ٠ اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ٠ سبحان الله عما يصفون** » (٢) ٠

ثم ان القول بوحدة الرب الأعلى ـ فضلا عن دلالة الوحدة الكونية عليه ـ هو الذى يتفق مع منطق العقل البشرى السوى ٠ فالعقل ينشد الوصول الى الوحدة من وراء الكثرة ٠ ويتطلب أن يسير من الأسباب المتعددة الى سبب واحد ، هو سبب الأسباب أو علة العلل ٠ وهذا ما جعل بعض الفلاسفة يطلقون على خالق الكون « العلة الأولى » ٠

دلالة النقـل

ومع دلالة الفطرة والعقل ، جاءت الدلائل السمعية ، بمـا

---

(١) الأنبياء : ٢٢ ٠ (٢) المؤمنون : ٩١ ٠

تناقلته الأجيال عن كتب الله تعالى ورسله الى الأمم فى مختلف الأمصار والأعصار من الدعوة الى الايمان بالله واحد لا شريك له ، وافراده تعالى بالعبادة ٠ وانكارهم على أقوامهم الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ٠

وهذا القرآن الوثيقة الالهية المحفوظة التى تتمثل فيها هداية السماء للارض يقص علينا من نبأ المرسلين الذين بعثوا جميعا بعقيدة التوحيد ٠ وهذا ما احتج به القرآن على المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى بأنهم ليس معهم دليل من العقل ولا من النقل ٠

لنستمع معا الى هذا المقطع من سورة الأنبياء حيث يتحدث القرآن عن المشركين بصيغة التوبيخ والانكار ٠((**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ٠ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**))(١) ((**أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ٠ وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون**))(٢) ٠

وفى سورة الأحقاف يطالبهم القرآن بدليل نقلى على ما يدعون ((**ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين**))(٣) ٠

---

(١) الأنبياء : ٢١ ـ ٢٢ ٠ (٢) الأنبياء : ٢٤ ـ ٢٥ ٠
(٣) الأحقاف : ٤ ٠

التوحيد جوهر الايمان بالله

واذا عرفت يا أخى أن الايمـان بالله هو جوهر العقـائد الاسلامية جميعا فواجبك ان تعرف هنا كذلك ان توحيد الله هو جوهر الايمان بالله تعالى • اذا تجرد عن التوحيد الحق ، كان كفرا وشركا ، ورجسا وزورا ، وظلما عظيما ، وضلالا مبينا •

ولهذا كان لزاما عليك أيها المسلم ان تعرف حقيقة التوحيد ، الذى أمر الله به ، وأقام عليه دينه ، وأنزل به كتابه ، وبعث به رسوله ، وعلق خيرى الدنيا والآخرة على تحقيقه وتجريده ، وجعل الجنة لأهله وانصاره والنار لخصومه وأعدائه ـ فان كثيرا من الطوائف نسبوا أنفسهم الى التوحيد ، وادعوا أن ما هم عليه هو التوحيد الخالص ، وما عليه غيرهم هـو الباطل •

وكلا يدعى وصلا لليلى ولیلى لا تقر لذا ولاذا !

فأنصار فلسفة أرسطو ومن تبعه ممن سموا « فلاسـفة المسلمين » تجد التوحيد عندهم يتمثل فى : اثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة ، بل هو وجود مطلق لا يعرض لشىء من الماهيات ، ولا يقوم به وصف ، ولا يتخصص بنعت ، بل صفاته كلها سلوب واضافات •• حتى انتهى توحيد هؤلاء ، الى انكار ذات الرب الذى دعت اليه أديان السماء ، وانكار خلقه للعالم، وتدبيره له ، وعلمه بكل ما يجرى فيه •• فهم يقولون بقدم الأفلاك ، وأن الله لا يبعث من فى القبور ، وأن

النبوة مكتسبة ، وانما هى فرع من الحرف ·· وأن الله لا يعلم شيئا من الموجودات المعينة البتة ، وانه لا يقدر على قلب شىء من أعيان العالم ، ولا شق الأفلاك ولا خرقها ·· وانه لا حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى ، ولا جنة ولا نار ·· فهذا هو توحيد هؤلاء !! ·

وهل اتاك نبأ دعاة « وحدة الوجود » ؟ انهم يزعمون أنهم وحدهم الموحدون ، ومن عداهم فهم المحددون ! فهل علمت ما توحيدهم المزعوم ؟ توحيدهم : أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه · وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود · وحقيقته وماهيته ·· وأنه آية كل شىء ، وله فيه آية تدل على أنه عينه · وهذا عند محققيهم من خطأ التعبير · بل هو نفس الآية ،ونفس الدليل ، ونفس المستدل ، ونفس المستدل عليه · فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية لا بالحقيقة والوجود · فهو - عندهم - عين الناكح ، وعين المنكوح ، وعين الذابح ، وعين المذبوح ، وعين الآكل ، وعين المأكول · وهذا عندهم ، هو السر الذى رمزت اليه هوامس الدهور الأولية ، ورامت افادته الهداية النبوية ، كما قال محققهم وعارفهم ابن سبعين !

ومن فروع هذا التوحيد وثماره : أن فرعون ونمروذ وامثالهما مؤمنون كاملو الايمان ، عارفون بالله على الحقيقة · وأن عباد الأصنام انما عبدوا عين الله لا غيره · فهم على الحق الصواب ·· وأن لا فرق فى التحليل والتحريم بين الأم والأخت وبين الأجنبية ، ولا بين الماء والخمر ، ولا بين الزواج والزنى ·

الكل من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة ٠٠وان الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس ، وبعدوا عليهم المقصود ، والأمر وراء ما جاءوا به ودعوا اليه !!

وان ننس لا ننس هنا توحيد « المعتزلة » الذين سموا انفسهم أهل التوحيد والعدل ٠ وجعلوا التوحيد أول أصولهم الخمسة ٠

ترى ما مضمون هذا التوحيد ؟

انه انكار قدر الله تعالى ، وجحد عموم مشيئته للكائنات ، وقدرته عليها ٠٠ ومتأخروهم ضموا الى ذلك توحيد « الجهمية » فاصبحت حقيقة التوحيد عندهم : انكار القدر ، وانكار حقائق الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ٠

وفى مقابل هذا التوحيد الأعرج يجيىء توحيد « الجبرية » ومضمونه عندهم : تفرد الرب بالخلق والفعل ، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة ، ولا محدثين لأفعالهم ، ولا قادرين عليها ، وان افعالهم الاختيارية لا تعدوا أن تكون مثل حركات الأشجار عند هبوب الرياح ، وأن الرب تعالى لم يفعل لحكمة ولا غاية تطلب بالفعل ، وليس فى المخلوقات قوى وطبائع وغرائز ، وأسباب ، بل ما ثم الا مشيئة محضة ، ترجح مثلا على مثل ، بغير مرجح ولا حكمة ولا سبب البتة (١) وهل يجهل ذو بصيرة

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم جـ٣ ص٤٤٧ ـ ٤٤٩ ط السنة المحمدية ٠

توحيد المضللين من عـوام المسلمين ، وتوحيد مضلليهم ممن يدعون المشيخة ، ويتزيون بزى الدين ورجاله الصالحين ؟

انهم يدعون غير الله ويرجون ويخافون غير الله ، ممن ادعوا لهم انهم اولياء او اقطاب او اوســاط او ابدال او غير ذلك من الألقاب ٠

فهم يطوفون باضرحتهم يسالونهم أكثر مما يسالون الله ، ويستعينونهم اكثر مما يستعينون الله ٠ يهرعون اليهم فى الملمات ، يطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، بدعوى أنهم وسائط بينهم وبين الله ، ولولا الواسطة لذهب ـ كما قيل ـ الموسوط !

وقبل هذا كله لا يغيب عنك « توحيد » النصارى ٠ فقد زعموا أن ديانتهم ديانة توحيدية ، وأنهم لم يخــرجوا من دائرة التوحيد ، برغم اعتقــادهم وقولهم ! ان الله ثالث ثلاثة ٠ وهى : الأب والابن والــروح القــدس ، فهم عائلة أو شركة مقدسة : الاله الأب والاله الابن ، والأقنوم الثالث المسمى « روح القدس » ٠

فاذا قلت لهم : كيف تكونون موحــدين مع قولكم بهؤلاء الثلاثة ؟ قالوا : الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة !! ولا مجــال للعقل والمنطق فى أمر العقيدة ، فشعارهم هنا : اعتقــد وأنت أعمى !!

من اجل ذلك كان من اوجب الواجبات بيان حقيقة التوحيد الذى دعا اليه الاسلام ، وبنى عليه تعاليمه كلها ، حتى يتبين الحق من الباطل ٠

التوحيد المـــامور به

انه توحيد اعتقادى علمى ، وتوحيد عملى سلوكى

وبعبارة أخرى هما توحيدان لا يغنى أحدهما عن الآخـــر : توحيد فى المعرفة والاثبات والاعتقاد ٠٠ وتوحيد فى الطلب والقصد والارادة ٠

فلا يقبل ايمان امرىء عند الله ما لم يقم بتوحيده سبحانه **علما واعتقادا** ، بان يؤمن بانه تعالى واحد متفرد فى ذاته وصفاته وافعاله ، لا شريك له ولا شبيه له ، ولا ولد ولا والد له ٠

وتوحيده كذلك : **قصدا وعملا** ، بان يفرده عز وجل بالعبودية الكاملة ، والطاعة المطلقة ، والذل له والانابة اليه والتوكل عليه والخشية منه والرجاء فيه ٠٠ الخ

والتوحيد بالمعنى الأول هو الذى افصحت عنه ودلت عليه بوضوح سورة « الاخلاص » بتمامها وأول سورة « آل عمران »، وأول سورة « طه » وأول سورة « الم » السجدة ، وأول سورة « الحديد » ، وآخر سورة « الحشر » ٠٠وغيرها ٠

والتوحيد بالمعنى الثانى ، هو ما تضمنته ، ودعت اليه ، ودلت عليه ، سورة « **قل يا أيها الكافرون** » وجملة سورة

« الأنعام » واول سورة « الأعراف » وآخرها ، واول سورة « يونس » ووسطها وآخرها واول سورة « الزمر » وأواخرها ٠ وغالب سور القرآن ٠ بل قال العلامة ابن القيم : ان كل سورة فى القرآن متضمنة لنوعى التوحيد ٠

وقد جرى كثير من المصنفين قديما وحديثا ، على تسمية النوع الأول من التوحيد : « توحيد الربوبية » وعلى تسمية النوع الثانى : « توحيد الالهية » أو « الالوهية » ٠

واحسبك ايها القارىء الكريم فى حاجة الى القاء مزيد من الضوء على معنى كل من هذين المصطلحين ، حتى تكون على بينة من ربك ، وبصيرة من دينك ٠ وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ٠ فما معنى توحيد الربوبية ؟وما معنى توحيد الألوهية ؟

اولا : توحيد الربوبية

ومعناه اعتقاد انه تعالى رب السموات والأرض وخالق من فيهما وما فيهما ، ومالك الأمر فى هذا العالم كله لا شريك له فى ملكه ، ولا معقب عليه فى حكمه ، فهو وحده رب كل شىء ، ورازق كل حى ، ومدبر كل أمر ، وهو وحده الخافض الرافع ، المعطى المانع ، الضار النافع ، المعز المذل ، وكل من سواه وما سواه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ، الا باذن الله ومشيئته • وهذا القسم من التوحيد لم يجحده الا الماديون الملحدون الذين ينكرون وجود الله تعالى ، كالدهريين قديما ، والشيوعيين فى عصرنا • ومثل الماديين « الثنوية » الذين يعتقدون أن للعالم الهين • الها للنور والها للظلمة ، أما معظم المشركين كالعرب فى الجاهلية فكانوا يعترفون بهذا النوع من التوحيد ولا ينكرونه ، كما حكى عنهم القرآن :

« ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن : الله »[1] « ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الأرض بعد موتها ، ليقولن : الله »[2] « قل لمن

---

(١) العنكبوت : ٦١ (٢) العنكبوت : ٦٣

الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل افلا تذكرون ؟ • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟• سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ • قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ • سيقولون : لله ، قل : فأنى تسحرون ؟ » (١) •

فهذه أجوبة المشركين ، تدل على أنهم يقرون بربوبية الله تعالى للكون وتدبيره لأمره ، وكان مقتضى ايمانهم بربوبيته تعالى للكون أن يعبدوه وحده ولا يشركوا بعبادة ربهم أحدا ، ولكنهم أنكروا القسم الآخر من التوحيد هذا وهو توحيد الالهية أو الالوهية •

---

(١) المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩

ثانيا : توحيد الألوهية

ومعنى توحيد الألوهية : افراد الله تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة فلا يعبد الا الله وحده ولا يشرك به شيء في الارض أو في السماء ۰ ولا يتحقق التوحيد ما لم ينضم توحيد الالهية الى توحيد الربوبية ۰ فان هذا وحده لا يكفي ، فالعرب المشركون كانوا يقرون به ، ومع هذا لم يدخلهم في الاسلام لأنهم اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، واتخذوا مع الله الهة أخرى ، زعموا أنها تقربهم الى الله زلفى ، أو تشفع لهم عند الله ۰

والنصارى لم ينكروا أن الله رب السموات والأرض ، ولكنهم أشركوا به المسيح عيسى ، واتخذوه الها من دون الله ، واعتبر القرآن هؤلاء وأولئك كفارا تحرم عليهم الجنة ، ويخلدون في النار ۰

ومنذ أقدم العصور ضل الناس عن هذا التوحيد ، فعبدوا من دون الله آلهة شتى ۰ عبد قوم نوح ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ۰۰ وعبد قوم ابراهيم الأصنام ۰۰ وعبد قدماء المصريين العجل ۰۰ وعبد الهندوس البقر ۰۰ وعبد أهل سبأ

الشمس ٠٠ وعبد الصابئون الكواكب ٠٠ وعبد المجوس النار ٠٠ وعبد العرب الأوثان والحجارة ٠٠ وعبد النصارى المسيح وأمه ٠٠ وعبدوا الأحبار والرهبان من دون الله ، فهؤلاء كلهم مشركون، لأنهم لم يفردوا الله تعالى بالعبادة ، التى لا تستحق لأحد غيره ٠

ولكن ما معنى « العبادة » التى هى من حق الله وحده ؟ ٠

معنى العبادة

العبادة كلمة تتضمن معنيين امتزج أحدهما بالآخر ، مصارا شيئا واحدا ٠ وهما نهاية الخضوع مع نهاية الحب ٠ فالخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل هو معنى العبادة ٠ فأما حب بلا خضوع ، أو خضوع بلا حب ، فلا يحقق معنى العبادة ٠٠ وكذلك بعض الخضوع مع بعض الحب لا يحقق العبادة ، بل لابد من كل الخضوع مع كل الحب ٠

صور العبادة وأنواعها

والعبادة ليست مقصورة على صورة واحدة ، كما يخيل لكثير من الناس ، بل لها أنواع وصور عديدة ٠

(أ) فمنها الدعاء : أى الاتجاه الى الله تعالى بطلب نفع أو دفع ضر ، أو رفع بلاء أو نصر على عدو ، او نحو ذلك ٠ فهذا الاتجاه بالسؤال المنبعث من القلب لله تعالى هو مخ

العبادة وروحها كما فى الحديث : « الدعاء هو العبادة » (رواه الترمذى) .

(ب) ومنها : اقامة الشعائر الدينية ، مثل : الصلاة والصيام والصدقة والحج والنذر والذبح وما شابه ذلك . فلا يجوز أن توجه هذه الشعائر الا لله (لا يجوز الصلاة لغير الله ولا الصيام والصدقة والنذر والذبح وغيرها من الشعائر) .

(ج) ومنها : الانقياد والاذعان الدينى لما شرع الله من أحكام ، أحل بها الحلال وحرم الحرام ، وحد الحدود ، ونظم شئون الحياة ، فلا يجوز لمن آمن بالله ربا أن يأخذ عن البشر النظم والأحكام والقيم والقوانين ، يخضع لها ويحكمها فى حياته بغير سلطان من الله فهذا ضرب من العبادة .

أهمية توحيد الألوهية

وهذا القسم من التوحيد هو أعظم اقسامه وأهمها ، وهو الذى وجه الرسل الكرام أكبر عنايتهم اليه ، كما سيأتى . وهو الذى يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة « التوحيد » .

وهو الذى بعث الله به رسله ، وانزل كتبه . وأرى الناس آياته فى الآفاق وفى انفسهم . ومن أجله حقت الحاقة ووقعت الواقعة ، ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وقامت سوق الجنة والنار ، وانقسم الناس الى شقى وسعيد . فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

لا إله إلا الله ..
عنوان التوحيد

وللتوحيد الذى جاء به الرسل عنوان يعبر عن حقيقته فى كلمة موجزة ، هذا العنوان هو كلمة « لا اله الا الله » التى تسمى « كلمة التوحيد » أو « كلمة الاخلاص » أو « كلمة التقوى » .

وهذه الكلمة العظيمة تتضمن نفى الالهية عن كل ما سوى الله ، واثباتها لله وحده ، فهو وحده الاله الحق ، وما عداه مما عبد الناس فى مختلف العصور فآلهة زائفة باطلة صنعتها الجهالة والأوهام . كما قال تعـالى :

« ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير »(١) .

والاله هو : المعبود بحق أى المحبوب المطاع ، الذى يستحق

---

(١) الحج : ٦٢

ان يعبد ، وذلك لمـا اتصف به من صفات الكمال ، التى تقتضى ان يخص بنهاية الحب ونهاية الخضوع ، وهما معنى العبادة ٠ فان الاله كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هو الذى تالهه القلوب بحبها ٠ وتخضع له ، وتذل له ، وتخافه وترجوه ، وتنيب اليه فى شدائدها ، وتدعوه فى مهماتها ، وتتوكل عليه فى مصالحها ، وتلجا اليه وتطمئن بذكره ، وتسكن الى حبه ٠٠ وليس ذلك الا الله وحده ٠

ولهذا كانت « لا اله الا الله » أصدق الكلام وأفضله ، وكانت رأس الأمر ، وأحسن الحسنات ، جاء فى الصحيح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال « أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلى ٠٠ لا اله الا الله »

التوحيد هو المهمة الأولى للرسـل

« ولأهمية التوحيد ومنزلته فى الديانات السماوية جميعا كان هو العنصر الأول فى دعوات الرسل جميعا من لدن نوح الى محمد عليهم الصلاة والسلام » ٠

ان المهمة الأولى للرسل الذين بعثهم الله هداة لعباده تتمثل فى أمرين اساسيين كلاهما لازم للآخر ومكمل له ٠

الاول : الدعوة الى عبادة الله وحده ٠

الثانى : الدعوة الى اجتناب الطاغوت ٠

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

((ولقد بعثنا فى كل امة رسولا • أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))(١) •

ويقول مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم :

((وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)) (٢) •

ولهذا نجد أول نداء يوجهه كل رسول الى قومه **((يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره))** (٣) هكذا ذكر القرآن عن نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم •

هكذا نجد نوحا اول رسل الله الى المشركين يقول لقومه : **((انى لكم نذير مبين • أن لا تعبدوا الا الله))** (٤) •

والمسيح عيسى ابن مريم الذى اتخذه قومه بعد ذلك ربا يعبد ، يقول **((يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار))** (٥) •

أما خاتم النبيين محمد • صلى الله عليه وسلم • فقد كانت

---

(١) النحل : ٣٦
(٢) الأنبياء : ٢٥
(٣) الأعراف : ٥٩
(٤) هود : ٢٥ ـ ٢٦
(٥) المائدة : ٧٢

دعوته الى التوحيد واجتناب الطاغوت ابرز واقوى واعمق واخلد ، كما يبدو ذلك واضحا فى القرآن والسنة ، وكما يتجلى فى شعائر الاسلام وشرائعه وآدابه وأخلاقه ٠

التوحيد شــعار الاسلام

وكان من مظاهر عناية الاسلام الكبرى بالتوحيد أن جعله شعارا له يميزه عن كل الديانات سواء منها الوثنية والكتابية المحرفة ، واصبح أشــهر ما يعرف به الاســلام أنه « دين التوحيد » وصار عنوان الاسلام يتجسد فى كلمتين أو جملتين من شهد بهما فقد دخل باب الاسلام ٠ أولى هاتين الكلمتين « شهادة أن لا اله الا الله » والثانية « أن يشهد أن محمدا رسول الله » ٠

واصبح اعلان هذا التوحيد شعيرة يومية ، بل اكثر من يومية ، حيث يكررها الفرد المسلم فى صلواته المفروضة فقط تسع مرات فى تشهده ، وخمس مرات فى اقامته ، ولم يكتف الاسلام بذلك ، بل شرع الأذان فى كل يوم خمس مرات ليعلن على الدنيا كلها من فوق منــائره بصوت جهير اشــهد ان « لا اله الا الله » ٠

ومن روائع الاسلام أنه سن للاب المسلم ان يستقبل مولوده بالأذان فى أذنه اليمنى والاقامة فى اذنه اليسرى ، لتكون كلمة التوحيد أول ما يطرق سمعه من أصوات النــاس ٠

فاذا عاش فى الدنيا ما قدر له ، ثم حضرته الوفاة ، كان على

أوليائه واقاربه أن يلقنوه كلمة التوحيد « لا اله الا الله » ٠

وبهذا يكون أول ما يستقبل به المسلم نور الحياة هو كلمة التوحيد ، وآخر ما يودع به الحياة هو كلمة التوحيد وما بين مهد الطفولة وفراش الموت ليس له مهمة غير اقامة التوحيد والدعوة الى التوحيد ٠

التوحيد حق لله على العباد

ومما يؤكد هذا المعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن التوحيد هو حق الله على عباده الذى لا يجوز التفريط فيه ، ولا الغفلة عنه :

روى الشيخان والبخارى ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :

« كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال لى : يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ٠ قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا » ٠

قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس ؟ ٠

قال : لا تبشرهم فيتكلوا » ٠

والسر فى هذا الحق أن الله تعالى خلق الانسان من عدم ،

وامده بنعم لا تحصى ، وسخر الشمس والقمر والليل والنهار لخدمته ، وآتاه العقل ، وعلمه البيان فمن حق هذا الخالق الرازق المنعم المعلم ، الرحمن الرحيم ، أن يشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ، ويطاع فلا يعصى •

ولهذا كان بيان هذا الحق وتاكيده هو أول وصايا القرآنكما فى الآية التى تسمى آية الحقوق العشرة ، المبدوءة بقوله تعالى **((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا))**(١) الآية • وكما قال فى الآيات المحكمة المشتملة على الوصايا العشر فى سورة الأنعام . **((قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم:الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا))**(٢) •• الخ ، ومثل ذلك وصايا الحكمة فى سورة الاسراء المبدوءة بقوله تعالى : **((لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا • وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا))**(٣) الآيات •

التوحيد رسالة المسلم فى الحياة

واذا كان المسلم يستقبل حياته بالتوحيد ويودعها بالتوحيد ، فان وظيفته بين مهد الطفولة وفراش الموت ، هى اقامة التوحيد والدعوة الى التوحيد •

---

(١) النساء : ٣٦
(٢) الأنعام : ١٥١
(٣) الاسراء : ٢٢ ـ ٢٣

ويقول الله تعالى فى بيان الوظيفة التى خلق لها المكلفين من الانس والجن « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون** » (١) •

بينت الآية الكريمة انه سبحانه خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له ، فهذه هى الغاية والحكمة من خلقهم • لم يخلقهم الله تعالى لياكلوا ويتمتعوا ، كما تاكل الأنعام ، دون أن يعرفوا الله جل شانه ، ويقدروه حق قدره ويخصوه بالعبادة ضارعين خاشعين •

فمن عاش عمره من غير أن يحقق هدف وجوده ووظيفة حياته ، وهى عبادة الله وحده ـ فقد انحط عن مرتبة المكلفين العقلاء ، واصبح كالانعام أو أضل سبيلا •

التوحيد رسالة الأمة الاسلامية الى الأمم

والتوحيد كما هو رسالة المسلم فى الحياة ، هو أيضا رسالة الأمة المسلمة الى العالم كله ، والى الأمم جميعا • ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يختم دعوته الى كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك الأرض وأمرائها ، بهذه الآية الكريمة :

« **يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ،**

---

(١) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٧

الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون » (١) ٠

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم باحسان يعرفون هذه الرسالة وواجبهم نحوها ، وحين سال رستم قائد الفرس ربعى بن عامر فى حرب القادسية ، من أنتم ؟ وما مهمتكم اجابه بقوله : « نحن قوم بعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » ٠

بماذا يتحقق التوحيد

ان التوحيد الذى جاءت به الرسل ، وعنى الاسلام بتثبيته وتأكيده وحمايته لا يتحقق وترسخ جذوره وتمتد فروعه الا اذا توافرت له العناصر الآتية :

العنصر الأول : اخلاص العبودية لله وحده ٠

العنصر الثانى : الكفر بكل الطواغيت والبراءة ممن عبدها أو والاها من دون الله ٠

---

(١) آل عمران : ٦٤

العنصر الثالث : اتقاء الشرك بكل ألوانه ومراتبه ، وسد المنافذ اليه ·

اولا : اخلاص العبودية لله

أما اخلاص العبودية لله تعالى فمعناه : اعطاء الألوهية حقها الكامل من التعظيم والمحبة والخضوع المطلق ، وذلك يثبت بأمور ثلاثة :

١ ـ ألا يبغى الانسان غير الله ربا يعظمه كما يعظم الله · قال تعالى

« قل اغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء » (١) ·

فكل ما اتخذه الناس من أرباب عبدوها أو عظموها من دون الله أو مع الله يجب أن يسقط ويزول سواء أكانت أربابا من الحجر أم من البشر ، ولهذا كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء :

« ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » (٢) ·

٢ ـ ألا يتخذ غير الله وليا يحبه كحب الله ·

---

(١) الأنعام : ١٦٤

(٢) آل عمران : ٦٤ ·

قال تعالى « قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض ؟ » (١) .

وقال تعالى **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (٢) .**

الى أن قال تعالى فى شأنهم :

« كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » (٣) .

والمعنى : انهم يحبون أندادهم وأولياءهم حبا ممتزجا بالخضوع والخوف والتعظيم الذى لا يجوز ان يكون الا لله .

وقال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب : ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم فى الاسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ؟ وكيف بمن أحب الند وحده ولم يحب الله ؟؟ .

ان مقتضى التوحيد أن يخلص المرء حبه لله ، ولا يتخذ وليا ولا ندا يحبه كحب الله . فالولاية لا تكون الا لله :

« أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولى وهو يحيى

---

(١) الأنعام : ١٤

(٢) البقرة : ١٦٥

(٣) البقرة : ١٦٧

الموتى وهو على كل شىء قدير » (١) •

٣ ـ الا يبتغى غير الله حكما ، يطيعه كما يطيع الله ، كما قال تعالى :

« أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا ؟ » (٢) •

وذلك أن الذى له حق الحكم فى شئون عباده والتشريع لهم فى أمور دينهم ودنياهم انما هو الله وحده ، العليم بخلقه ، الرحيم بهم ، الخبير بما يصلحهم وما يفسدهم •

«الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٣) •

ومن هنا قرر القرآن الكريم أن الحكم ـ بمعنى التشريع ـ ليس الا لله وحده ، كما قال تعالى :

« ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (٤) •

كما اعتبر القرآن التحاكم الى غير الله ورسوله خروجا عن حقيقة الايمان ، ودخولا فى طاعة الشيطان •

« ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك

---

(١) الشورى : ٩ — (٢) الأنعام : ١١٤

(٣) الملك : ١٤ — (٤) يوسف : ٤٠

وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا • واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسـول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » (١) •

ثانيا : الكفر بالطواغيت

كان العنصر الأول فى تحقيق التوحيد هو اخلاص العبودية لله . واعطاء الألوهية حقها من التعظيم والمحبة والطاعة ، التى لا ينبغى أن تكون الا لله سبحانه •

اما العنصر الثانى فهو الكفر بالطواغيث والبراءة من كل من عبدها أو والاها من دون الله ، حتى أن القرآن الكريم قدم أحيانا الكفر بالطاغوت على الايمان بالله ولهذا قال تعالى :

« فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال ، لا اله الا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حـرم ماله ودمه وحسابه على الله » (رواه مسلم) •

فلم يجعل الاقرار بكلمة التوحيد ، عاصما للدم والمـال ، حتى يضم اليها الكفر بما يعبد من دون الله •

---

(١) النساء : ٦٠ ـ ٦١ (٢) البقرة : ٢٥٦

ذلك أن الأشياء تتميز باضدادها ، فالايمان بالحق لا يتميز ويتحقق الا بالكفر بالباطل ، والبراءة من أهله ·

ولهذا أعلن امام الموحدين ـ ابراهيم عليه السلام ـ براءته من آلهة قومه وأصنامهم وعداوته لهم كما قال تعالى :

« واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون ، الا الذى فطرنى فانه سيهدين » (١) وقال سبحانه : **« قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم انا بَرءاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده »** (٢) ·

وبهذا نعلم أن التوحيد الحق لا يتم الا اذا انضم الى الايمان بالله وعبادته ، الكفر بالطاغوت والبراءة من أوليائه ، ومن أجل ذلك كان نداء الرسل جميعا الى قومهم ما عرفنا من قبل

« أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٣) ·

ولكن ما معنى الطاغوت ؟

الطاغوت كلمة مشتقة من « الطغيان » وهو مجاوزة الحد · وقد اختلفت عبارات السلف فى تحديد معناه · فقال عمر رضى الله عنه : الطاغوت الشيطان · وقال جابر رضى الله عنه :

---

(١) الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧ (٢) الممتحنة : ٤

(٣) النحل : ٣٦

الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين • وقال مالك : الطاغوت كل ما عبد من دون الله •

وهذه الأقوال تذكر امثلة للطاغوت ولكنها لا تحصر كل افراده • واضبط تحديد لمعنى الطاغوت ما ذكره الامام ابن القيم رحمه الله قال :

« الطاغوت » كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع او مطاع ، فطاغوت كل قــوم من يتحــاكمون اليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم . اذا تاملتها وتاملت احوال الناس معها رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى الى عبادة الطاغوت ، وعن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته •

ثالثا : اتقاء الشرك والحذر منه

وهذا هو العنصر الثالث لتحقيق التوحيد ، وهو يقتضى معرفة أنواع الشرك كله اكبره وأصغره ، جليه وخفيه ، والتحرر من كل شائبة للشرك ، والحذر من منافذه ومداخله •

ان الشىء ـ كما قلنا ـ لا يتميز الا بضده ، فلهذا لا يعرف التوحيد خالصا متميزا الا بمعرفة ضده وهو الشرك •

فما هى حقيقة الشرك ؟

الشرك

الشرك .. ان يجعل المرء لله شريكا فيما هو من خالص حقه سبحانه ، كأن يتخذ مع الله الها أو آلهة .. يعبدها أو يطيعها أو يستعين بها أو يحبها أو نحو ذلك مما لا يستحقه الا الله جل شانه .

وهذا هو الشرك الأكبر ، الذى لا يقبل معه عمل صالح ، بل لا يصلح معه عمل ، لأن أول شرط لقبول العمل وصلاحه أن يكون خالصا لله كما قال تعالى :

((فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) (١) .

وهذا الذنب الذى لا يقبل المغفرة بحال :

((ان الله لا يغفـر أن يشرك به ويغفـر ما دون ذلك لمن يشاء)) (٢) .

---

(١) الكهف : ١١٠   (٢) النساء : ١١٦

والجنة حرام على المشرك ، كما ان النار مأواه ومثواه ٠ قال تعالى : ((انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار)) (١)

انواع الشرك

الشرك نوعان : شرك أكبر ، وشرك اصغر ٠

فالشرك الاكبر هو الذى لا يغفره الله ولا يدخل صاحبه الجنة أبدا ٠

والشرك الاصغر من كبائر الذنوب التى يخشى على من اقترفها وأصر عليها أن يموت كافرا ، ان لم يتداركه الله برحمته فيتوب قبل موته ٠

الشرك الأكبر جلى وخفى

والشرك الأكبر أيضا نوعان ٠٠ ظاهر جلى ، وباطن خفى ٠
فمن الشرك الأكبر الظاهر ٠ عبادة اله أو آلهة مع الله ، سواء كان هذا الاله كوكبا كالشمس والقمر ، أو كان جمادا كالاصنام والحجارة ، أو كان حيوانا كالعجل والبقر ، او انسانا كالذين عبدوا فرعون وأمثاله من الملوك الذين ادعوا الالوهية او أدعيت لهم ، ووجدوا فى الناس من يصدقهم ، وكذلك الذين عبدوا

---

(١) المائدة : ٧٢

« بوذا » أو المسيح عيسى ابن مريم ، أو كان من المخلوقات المغيبة عنا مثل الجن والشياطين والملائكة ٠٠ وقد وجد لها عباد فى امم شتى ٠

من الشرك الأكبر الخفى الدعاء والاستعانة بالموتى

ومن الشرك الاكبر نوع خفى ، يخفى على كثير من الناس ومنه دعاء الموتى والمقبورين من أصحاب الأضرحة والمقامات ، والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم من شفاء المرضى وتفريج الكربات ، واغاثة الملهوف ، والنصر على العدو ، مما لا يقدر عليه ، الا الله ، واعتقادهم بأنهم يضرون وينفعون ٠ وهذا أصل شرك العالم ، كما قال ابن القيم ٠

وسبب خفاء هذا الشرك أمران :

١ ـ ان الناس لا يسمون هذا الدعاء والاستعانة والاستغاثة باصحاب القبور عبادة ويظنون أن العبادة انما تنحصر فى الركوع والسجود والصلاة والصيام ونحوها ٠

والحقيقة أن روح العبادة ـ كما ذكرنا ـ هو الدعاء ، كما جاء فى الحديث « الدعاء هو العبادة » ٠

٢ ـ انهم يقولون : نحن لا نعتقد أن هؤلاء الأموات الذين ندعوهم ونستغيث بهم آلهة أو أرباب لنا ، بل نعتقد أنهم

مخلوقون مثلنا ، ولكنهم وسائط بيننا وبين الله وشفعاء لنا عنده ·

وهذا من جهلهم بالله جل جلاله ، فقد حسبوه مثل الملوك الجبارين والحكام المستبدين ، لا يستطاع الوصول اليهم الا بوسطاء وشفعاء ·

وهو نفس الوهم الذى سقط فيه المشركون قديما ، حين قالوا عن آلهتهم وأصنامهم : **((ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)) (١) ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)) (٢) ·**

ولم يعتقدوا يوما ان آلهتهم وأصنامهم تخلق أو ترزق أو تحيى أو تميت ، كما قال تعالى **((ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم)) (٣) ·**

((قل : من يرزقكم من السماء والأرض ام من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل افلا تتقون ؟)) (٤) ·

ومع هذا الاعتقاد فى الله تعالى ، أنه خالق السموات والأرض وأنه الرزاق المدبر المحيى المميت ·· والاعتقاد فى الأصنام ··

---

(١) الزمر : ٣ (٢) يونس : ١٨
(٣) الزخرف : ٩ (٤) يونس : ٣١

انها مجرد وسائط وشفعاء لهم عند الله ٠٠ مع هذا كله رماهم القرآن بالشرك ، وسماهم المشركين ، وأمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويقولوا : « لا اله الا الله » فمن قالها فقد عصم دمه وماله الا بحق الاسلام ٠

ان الله تعالى غنى عن الوسائط والشفعاء ، وهو أقرب الى عبده من حبل الوريد ، كما قال تعالى **((واذا سألك عبادى عنى فانى قريب))** (١) ٠

((وقال ربكم ادعونى أستجب لكم)) (٢) ٠

وبابه تعالى مفتوح لكل من أراد الدخول ، ليس عليه حاجب ولا بواب ٠

من الشرك الأكبر : اتخاذ غير الله مشرعا

ومن الشرك الأكبر الذى يدق ويخفى أيضا على كثير من الناس ، اتخاذ غير الله مشرعا أو ابتغاء غير الله حكما ٠ وبعبارة أخرى ، اعطاء بعض الناس لفرد أو جماعة حق التشريع المطلق لهم أو لغيرهم من البشر ، فيحلون لهم ويحرمون عليهم ما شاءوا ، ويشرعون لهم من الأنظمة والقوانين ، أو يضعون لهم من المناهج والأفكار ، ما لم يأذن به الله تعالى ، وما يضاد شرع

---

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) غافر : ٦٠

الله سبحانه ، فيتبعهم الآخرون ويطيعونهم فيما شرعوا ووضعوا ، كأنه شرع الهى ، أو حكم سماوى ، يطاع ولا يعصى ٠

ان الذى له الحق فى التشريع لخلقه هو الله وحده ٠ فهو الذى خلقهم ورزقهم واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، فمن حقه وحده أن يكلفهم ويامرهم وينهاهم ويحل لهم ويحرم عليهم ، لأنه رب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، وليس لأحد غيره من الربوبية والملك والألوهية ما له ، حتى يكون له سلطة الحكم والتشريع ٠

ان العالم هو مملكة الله تعالى والناس فى هذه المملكه عبيده ورعاياه ، وهو سبحانه سيد هذه المملكة وحاكمها ، فله وحده ان يحكم ويشرع ويحلل ويحرم ، وعلى الرعية أن يسمعوا ويطيعوا ٠

فمن ادعى من رعية هذه المملكة أن لأحد فيها حق الأمر والنهى والتحليل والتحريم والحكم والتشريع دون اذن من سيد المملكة أو حاكمها ، فقد جعل من بعض عبيد الملك شريكا له فى الملك ، منازعا له فى سلطة السيادة ، وفى اختصاصه بالحكم والسلطان ٠

ومن اجل ذلك حكم القرآن الكريم على أهل الكتاب بالشرك ، وسماهم مشركين ، لانهم اعطوا احبارهم ورهبانهم حق التشريع لهم ، فاطاعوهم ، فيما أحلوا لهم وما حرموا

عليهم ، ونزل القرآن ذلك بعبادتهم للمسيح ابن مريم ، سواء بسواء ·

قال تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون» (١) ·

وهذه الآية قد فسرها النبى - صلى الله عليه وسلم - لعدى بن حاتم الطائى ، وكان نصرانيا فى جاهليته ، وذلك أنه لما جاء مسلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه هذه الآية ·

قال عدى : فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بلى انهم حرموا عليهم الحلال ، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم اياهم » (٢) ·

فقد دلت هذه الآية وما فسرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن من أطاع غير الله فى معصية أو اتبعه فيما لم يأذن به الله ، فقد اتخذه ربا ومعبودا ، وجعله لله شريكا ، وذلك ينافى التوحيد الذى هو دين الله ، والذى دلت عليه كلمة الاخلاص « لا اله الا الله » فان الاله هو المعبود ، وقد سمى الله طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم عبادة لهم ، وسماهم

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) رواه أحمد والترمذى وحسنه ·· وغيرهما ·

اربابا اى شركاء لله تعالى فى العبادة • وهذا هو الشرك الاكبر فكل من اطاع مخلوقا واتبعه على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه ربا ومعبودا وان لم يسمه بذلك كما قال تعالى فى اية اخرى :

« وان اطعتموهم انكم لمشركون » (١) •

ويشبه هذه الآية فى المعنى قوله تعالى :

« ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله » (٢)

واذا كان هذا حكم القرآن والسنة فيمن اتخذ غير الله مشرعا، واتبعه فيما لم ياذن به الله ، فكيف بمن جعل نفسه لله ندا ، فاعطاها حق والحكم التشريع والتحليل والتحريم الذى هو من خصائص الألوهية ؟!

الوان من الشرك الاصغر

ودون الشرك الاكبر توجد الوان وأنواع أخرى من الشرك ، تسمى « الشرك الاصغر » وهو من كبائر الذنوب ، بل أعظم عند الله من سائر الكبائر منها :

---

(١) الأنعام : ١٢١

(٢) الشورى : ٢١

الحلف بغير الله

ومن الشرك الأصغر ٠٠ الحلف بغير الله تعالى ، كأن يقسم بالنبى أو بالكعبة الشريفة أو بولى من الأولياء ، أو كبير من الكبراء ، أو يقسم بالوطن ، أو بالآباء والأجداد أو بغير ذلك من المخلوقات ، فكل ذلك من الشرك ، ففى الحديث « ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » ، (رواه الترمذى وحسنه) ٠

وذلك لأن فى القسم تعظيما للمقسم به ، والذى ينبغى أن يخص بالتعظيم والتقديس هو الله وحده ، لهذا جاء النهى عن الحلف بغيره ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا بابائكم » وقال « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليذر » ٠

وقال ابن مسعود رضى الله عنه « لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا » ٠

ومن المعلوم فى الدين ، ان الحلف بالله كاذبا كبيرة من الكبائر ، لكن الشرك ـ وان كان شركا أصغر ـ أكبر من كل الكبائر ، فى نظر فقهاء الصحابة رضى الله عنهم (١) ٠

---

(١) الحالف بغير الله لا وفاء عليه ولا كفارة ، لأن هذا شرك ، والشرك لا حرمة له ، وانما عليه أن يستغفر الله تعالى وأن يقول ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « من حلف وقال فى حلفه واللات والعزى، فليقل: «لا اله الا الله» رواه البخارى ٠
بين هذا الحديث أن كفارة الشرك تجديد التوحيد لا الاطعام ولا الصيام ٠

لبس الحلقة والخيط

التوحيد لا ينافى اتخاذ الأسباب التى وضعها الله فى الكون : كاستعمال الطعام للشبع ، والماء للرى ، والدواء للعلاج ، والسلاح للدفاع ، ونحو ذلك من الأسباب التى جعلها الله مؤدية الى مسبباتها ٠

فاذا مرض الانسان وعرض نفسه على طبيب ، وقرر له استعمال دواء أو اجراء جراحة ، أو غير ذلك ، فقام به ونفذه ، فليس ذلك خروجا عن التوحيد ٠

انما ينافى التوحيد اللجوء الى أسباب خفية لم يشرعها الله ، لرفع البلاء بعد وقوعه أو للوقاية منه قبل وقوعه فيما زعموا ٠

ومن ذلك لبس حلقة من المعدن ، أو وضع خيط يربط بالعضد ٠ فقد روى الامام أحمد عن عمران بن حصين ٠ أن النبى صلى الله عليه وسلم أبصر على عضد رجل حلقة قال : أراها من صفر ـ فقال : ويحك ما هذه ؟ قال : من الواهنة ٠ قال : ألا انها لا تزيدك الا وهنا ، انبذها عنك فانك لو مت وهى عليك ، ما أفلحت أبدا » ٠

وانما غلظ صلى الله عليه وسلم فى الانكار على الرجل ، تحذيرا من الشرك بكل صوره وتعليما للصحابة أن يسدوا هذا الباب جملة وتفصيلا ٠

ولهذا حين دخل حذيفة بن اليمان على مريض يعوده ، فوجد فى عضده سيرا أو خيطا يدفع به الحمى لم يسعه الا أن قطعه ، ثم تلا قوله تعالى : **((وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)) (١) ٠**

تعليق التمائم

ومن هذا الباب تعليق التمائم ، وهى جمع تميمة ، وهى خرزة أو خرزات كان العرب يعلقونها وخاصة على الأولاد ، زاعمين أنها تدفع عنهم الجن أو تقيهم العين ونحوها ، فأبطلها الاسلام ، وعلمهم أن لا دافع ولا مانع الا الله تعالى ٠

روى أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعا : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » ٠وفى رواية « من تعلق تميمة فقد أشرك » ومعنى تعلق تميمة ، أى علقها متعلقا بها قلبه فى طلب خير أو دفع شر ٠

وانما كانت شركا ، لأن فيها طلب دفع الضر من غير الله تعالى ٠ قال تعالى : **((وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير))(٢) ٠**

ومن هذه التمائم ما يسمى « الجامعة » أو « الحرز » أو « الحجاب » أو ما شابه ذلك من الأسماء فكلها من كبائر

---

(١) يوسف : ١٠٦.   (٢) الأنعام : ١٧.

المنكـرات ، وازالتها واجبة على كل مسـتطيع . جـاء عن سعيد بن جبير : انه من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة، اى كمن أعتق رقبـة .

فاذا كانت التميمة من آيات القرآن ، او تشتمل على أسماء الله تعالى وصفاته ، فهل تدخل فى النهى عن التمائم أم تستثنى منه ويجوز تعليقها ؟ . اختلف السلف فى ذلك ، فبعضهم رخص فيها ، وبعضهم منع . والذى نختاره هو المنع من التمائم كلها وان كانت من القرآن ، لعدة أدلة :

أولا : عموم النهى عن التمائم ، فان الأحاديث لم تستثن منها شـيئا .

ثانيا : سد الذريعة ، فان الترخيص فى تعليق التمائم اذا كانت من القرآن ، يفتح الباب لتعليق غيرها . وباب الشر اذا فتح لا يسـد .

ثالثا : ان هذا يعرض القرآن للامتهان ، حيث يحمله من علقه فى الأماكن النجسة وفى وقت قضاء الحاجة وفى حالة الجنابة والحيض ونحوها .

رابعا : ان فى ذلك استخفافا بالقرآن ومناقضة لما جاء له ، فان الله انزله ليهدى الناس للتى هى أقوم ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، لا ليتخذ تمائم وأحرازا للنساء والأطفال .

الرقى

ومما ينافى التوحيد : الرقى وهى كلمات وتمتمات كان يتعاطاها أهل الجاهلية معتقدين أنها تدفع عنهم الآفات ، مستعينين بالجن أو مرددين بعض الأسماء الأعجمية أو الألفاظ غير المفهومة • فجاء الاسلام فأبطل ذلك ، كما فى الحديث : « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » •

وقد جاء فى الأثر : أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رأى يوما فى عنق زوجته خيطا فسألها ما هذا ؟ فقالت . خيط رقى لى فيه من الحمى ••فجذبه فقطعه فرمى به ، ثم قال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » فقالت: لقد كانت عينى تقذف ، وكنت أختلف الى فلان اليهودى فاذا رقى سكنت فقال عبد الله : انما ذلك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فاذا رقى كف عنها انما كان يكفيك أن تقولى كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذهب الباس رب الناس ، واشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » •

فالرقى المحرمة ما كان فيها استعانة بغير الله تعالى ، أو كانت بغير اللسان العربى فانه ربما كان كفرا أو قولا يدخله الشرك •

وما عدا ذلك فلا بأس بالرقية به . ففي صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال : كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال : « أعرضوا على رقاكم . لا بأس بالرقي ما لم تكن شركا » .

وقال السيوطي : فقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

١ ـ تكون بكلام الله أو بأسمائه أو صفاته .

٢ ـ وباللسان العربي وما يفهم معناه .

٣ ـ وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله تعالى .

والتولة المذكورة في الحديث هي ضرب من أعمال السحرة لتحبيب الرجل الى امرأته أو المرأة الى زوجها .

السحر

ومن الشرك الذى حذر منه الاسلام : السحر . وهو ضرب من التخييل والايهام ، ومنه ما هو عزائم ورقى وعقد ونفث .

وانما كان شركا لأن فيه استعانة بغير الله تعالى من الجن والشياطين أو الكواكب ونحوها ، ولهذا جاء في الحديث : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر . ومن سحر فقد

اشرك » وهو من كبائر الذنوب فى الاسلام وفى الأديان السماوية كلها ، جاء فى القرآن على لسان موسى عليه السلام قوله : **«ولا يفلح الساحر حيث أتى »(١) « قال موسى : ما جئتم به السحر ، ان الله سيبطله ، ان الله لايصلح عمل المفسدين »(٢)** وقد عده النبى صلى الله عليه وسلم فى السبع الموبقات بعد الشرك •

وعلمنا القرآن أن نستعيذ بالله من شر السحر وأهله **«ومن شر النفاثات فى العقد»** (٣) أى السواحر ، فان السحرة اذا رأوا عمل السحر ، عقدوا الخيوط ، ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون • ومعنى النفث : النفخ مع شئ من الريق •

وقد ذهب كثير من أئمة السلف الى أن الساحر كافر ، وأن السحر كفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رضى الله عنهم •

وجاء عن عدد من الصحابة أن عقوبة الساحر ضربه بالسيف

ففى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال : كتب الينا عمر بن الخطاب ، أن اقتلوا كل ساحر وساحرة • قال : فقتلنا ثلاث سواحر •

---

(١) طه : ٦٩ (٢) يونس : ٨١

(٣) الفلق : ٤

وصح قتل الساحر عن حفصة أم المؤمنين ، وعن جندب من الصحابة رضى الله عنهم .

وكما أن السحر حرام فان المصدق لأهله ، الساعى اليهم لعمل السحر ، شريك لهم فى الاثم ، قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، مدمن الخمر ، ومصدق بالسحر وقاطع الرحم » (رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه) .

التنجيم من السحر

ومن أنواع السحر ما يعرف باسم التنجيم والمراد به هنا ، ما يزعم أهله أنهم يعرفون ما يخبئه المستقبل من أحداث عامة وخاصة عن طريق النجوم والنظر فيها . وهذا ضرب من السحر والدجل ، جاء فى الحديث : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر » (رواه أبو داود باسناد صحيح) .

وليس هذا الحديث فى من يتعلم من علم النجوم أبعادها ومنازلها وأحجامها ومداراتها ونحو ذلك بما يعرف بالملاحظة وآلات الرصد ونحوها . وهو ما يعرف باسم : « علم الفلك » . فهذا علم له أصوله وقواعده ووسائله .

ولكن هذا الحديث فى من يتعلم من هذا العلم ما يؤدى الى الكفر ، كادعاء معرفة الغيب فهذا من السحر والشرك ، اذ لا يعلم الغيب الا الله .

التولة سحر وشرك

ومن السحر ما شـاع من قديم بين السحرة ، وهو كتابة حروف وكلمات وتعليق بعض الأشياء ونحو ذلك • بدعوى تحبيب المرأة الى الرجل ، أو تحبيب الرجل الى المرأة •

وقـد سبق فى الحديث : « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » •

الكهانة والعرافـة

ومثل المنجم الكاهن والعراف •

والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل ، أو هو الذى يخبر عما فى الضمير •

والعراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ومن شابه هؤلاء من كل من يدعى معرفة المغيبات ، سـواء ما يكنه المستقبل أو ما يكنه الضمير • وسواء أكان ذلك عن طريق الاتصال بالجن أم النظر او الخط فى الرمل أو قراءة الفنجان أو خلاف ذلك •

روى مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أتى عرافا ، فسأله عن شىء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما » •

وروى أبو داود عنه صلى الله عليــه وسلم « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وســلم » ·

وذلك لان مما أنزل على محمد صلى الله عليــه وسلم أن الغيب لا يعلمه الا الله · قال تعالى : **((قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله))(١) ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو))(٢) ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا · الا من ارتضى من رسول))(٣)** حتى النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ليعلم من الغيب الا ما أعلمه الله عن طريق الوحى · ولهذا خاطبه بقوله **((قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون))(٤) ·**

كما أن الجن الذين يستعين بهم السحرة والكهنة ليس لهم قدرة على معرفة الغيب عن جن سليمان ، انهم لم يعلموا موت سليمان **((فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين))(٥) ·**

ولهذا كان تصديق الكهنة والعرافين ــ فى زعمهم معرفة الغيب ــ كفرا بما أنزل الله من آيات بينات ·

---

(١) النمل : ٦٥
(٢) الانعام : ٥٩
(٣) الجن : ٢٦ ــ ٢٧
(٤) الأعراف : ١٨٨
(٥) سبأ : ١٤

وإذا كان اتيان هؤلاء وتصديقهم بهذه المنزلة من الشناعة في الدين ، فما بالك بهؤلاء الكهنة والعرافين أنفسهم ؟ انهم براء من الدين كما أن الدين برئ منهم ، جاء في الحديث : " ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له " . (رواه البزار باسناد جيد)

النذر لغير الله

ومن الشرك النذر لغير الله تعالى ، كالنذر للقبور وأصحابها . ذلك أن النذر عبادة وقربة . والعبادة لا يجوز أن توجه الا الى الله تعالى . قال تعالى : **﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار﴾(١)** والمراد بالظالمين في الآية المشركون . فان الشرك ظلم عظيم ، ومن قصد بالعبادة غير الله تعالى فقد أشرك .

قال بعض العلماء : النذر الذى ينذر له أكثر العوام – على ما هو مشاهد – كأن يكون للانسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتى الى مقبرة بعض الصالحين ، ويقول : يا سيدى فلان ، ان رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا ، أو من الطعام كذا ، أو من الشمع والزيت كذا – فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه :

---

(١) البقرة : ٢٧٠

منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز ، لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ٠

ومنها : أن المنذور له ميت ، والميت لايملك ٠

ومنها : أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر ٠

ثم قال : اذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل الى ضرائح الأوليـــاء تقربا اليها فحرام باجماع المسلمين ٠

واذا كان هذا النذر حراما ، فلا يلزم الوفاء به ، بل لا يجوز لثلاثة أدلة :

الأول : أنه جاء على غير أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » (رواه مسلم) ٠

الثانى : أنه نذر لغير الله فهو شرك ، والشرك لا حرمة له ، فهو مثل الحلف بالمخلوقات ، لا يجب الوفاء به ، ولا كفارة فيه ، وليس فيــه الا الاســتغفار ، كما قال شيخ الاســلام ابن تيمية ٠

الثالث : أنه نذر معصية وقد بينت الســنة أن كل نذر اشتمل على معصية أو شرك لا يلزم الوفاء به ، بل لا يجوز الوفاء به ، ففى صحيح البخارى عن عائشة مرفوعا « من نذر

ان يطيع لله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ٠

وعن ثابت بن الضحاك :

أن رجلا نذر أن ينحر ابلا ببوانة فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا ٠ قال ٠ فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا ٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوف بنذرك ٠ فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » ٠ (رواه أبو داود) ٠

الذبح لغير الله

ومن الشرك : تقديم القرابين وذبح الذبائح لغير الله تعالى ٠

فقد جرت عادة المشركين فى كل أمة أن يتقربوا بذبائحهم الى آلهتهم وأصنامهم ٠ فأبطل الاسلام ذلك وحرم « **ما أهل لغير الله به** »(١) أى ما ذكر عليه اسم غير الله من صنم أو نحوه « **وما ذبح على النصب** »(٢) أى ما نصب من حجر أو شجر أو صنم ليعبد أو يعظم أو يتبرك به ٠ وأمر أن يكون الذبح لله وحده ٠

(١،٢) المائدة : ٣

ولهذا أمر الله رسوله أن يجعل صلاته ونحره لله ((**فصل لربك وانحر**)) (١) وأن يعلن فى المشركين ، أن هديه مخالف لهم فى صلاته ونسكه ((**قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له وبذلك أمرت**))(٢) والنسك هو الذبح بقصد التقرب •

وعن على رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا (٣) ، لعن الله من غير منار الأرض » (٤) (رواه مسلم) •

وعن طارق بن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب (أى بسبب ذباب) قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم ، لا يجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب • قال : ليس عندى شىء أقرب •

---

(١) الكوثر : ٢

(٢) الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٣

(٣) آوى محدثا : حمى مجرما يستحق العقاب بان تستتر عليه أو تنصره بنفوذه وسلطانه •

(٤) غير منار الأرض : أى معالمها وحدودها • وذلك ليضطل فى ملكه ما ليس من حقه •

قالو له : قرب ولو ذبابا ٠٠ فقرب ذبابا ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب ٠٠ فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة » (رواه أحمـد) ٠

أثنى النبى صلى الله عليه وسلم على هذا الرجل المؤمن وأخبر عن دخوله الجنة ، لأنه صبر على القتل ، ولم يرض بتقديم أى شىء لغير الله عز وجل ٠ لأن القضية تضية من قبل أى شىء ٠ ومن قبل أن يقدم لغير الله ذبابا أوشك أن يقدم بعد ذلك جملا !

ومن حرص الاسلام على التوحيد ومجانبة الشرك ٠ أنه امر ألا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ٠ كما فى حديث ثابت بن الضحاك السـابق فى الرجل الذى نذر أن ينحـر ابلا ببوانة ٠

الطيرة شرك

ومن الشرك الطيرة ، ومعناها التشاؤم ببعض الأصوات المسموعة أو الأشياء المرئية أو نحو ذلك ، فاذا رده شىء من ذلك عن حاجته التى عزم عليها كسفر أو زواج أو تجـارة أو نحو ذلك ، فقد دخل فى الشرك لأنه لم يخلص توكله على الله ولأنه التفت الى سواه ، وجعل للتطير فى قلبه نصيبا ٠

روى الامام احمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، فقالوا فما كفارة ذلك ؟ قال : أن تقول : اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك » .

واما ما يجده الانسان فى نفسه من انقباض أو توجس للشر من بعض الأشياء فلا يؤثر ولا يضر ، اذا مضى فى طريقه متوكلا على الله ، ولم يرده التطير عن قصده وغايته . روى أبو داود والترمذى عن ابن مسعود مرفوعا « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا ، الا .. ولكن يذهبه الله بالتوكل » .

ومعنى « وما منا الا .. » أى ما منا أحد الا ومر فى قلبه شىء من ذلك بمقتضى الضعف البشرى ، ولكن مزية المؤمن أن الله يذهب من قلبه تلك الخواطر من أثر توكله على الله **((ومن يتوكل على الله فهو حسبه))** (١) .

وضد الطيرة . الفال . وهو توقع الانسان الخير ، بناء على كلام سمعه أو شىء أبصره أو نحو ذلك .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ، ففى الحديث : « ويعجبنى الفال . قالوا وما الفال ؟ قال : الكلمة الطيبة » .

مثال التفاؤل : ان يكون رجل مريض ، فيسمع آخر يقول :

---

(١) الطلاق : ٣

يا سالم ، فيتفاءل بالسلامة والصحة .. فهذا أمر حسن ، لأنه داع الى سعة الأمل وحسن الظن بالله تعالى ، بخلاف الطيرة فان فيها سوء الظن بالله تعالى وتوقع البلاء من غير سبب يفضى اليه .

الاسلام يسد المنافذ الى الشرك

لقد جاء الاسلام بالتوحيد الخالص ، وحارب الشرك أكبره واصغره ، وحذر منه أشد التحذير ، واتخذ لذلك وسائل شتى ، أبرزها سد كل المنافذ التى تهب منها ريح الشرك ٠

من هذه المنافذ ما يأتى :

الغلو فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم

نهى النبى صلى الله عليه وسلم ـ عن الغلو فى تعظيمه ومدحه فقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، انما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » (متفق عليه) ٠

والقرآن الكريم أثنى عليه صلى الله عليه وسلم بالعبودية لله فى أشرف المقامات ، تأكيدا لهذا المعنى كقوله تعالى((**الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا**)) (١) وقوله **سبحان الذى اسرى بعبده ليلا**)) (٢) وقوله ((**فاوحى الى عبده ما أوحى**)) (٣) ٠

---

(١) الكهف : ١ (٢) الاسراء : ١
(٣) النجم : ١٠

وكان صلوات الله عليه اذا راى او سمع ما يؤدى الى الغلو فى شخصه ، زجر من قال ذلك أو فعله ، ونبهه الى الحق والسداد .

روى ابو داود بسند جيد عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا .. قال : السيد الله تبارك وتعالى . وعن انس أن أناسا قالوا : يا رسول الله ، ياخيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : « يايها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله . ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى انزلنى الله عز وجل » (رواه النسائى بسند جيد) .

ولما قال له رجل : ما شاء الله وشئت قال : اجعلتنى لله ندا ؟ ما شاء الله وحده . (رواه النسائى) .

الغلو فى الصالحين

ومما نهى عنه الاسلام وحذر منه ، الغلو فى شأن الصالحين .

فقد غلا قوم فى شان المسيح حتى جعلوه ابنا لله ، أو ثالث ثلاثة ، وقال بعضهم ان الله هو المسيح ابن مريم .

وغلا قوم فى أحبارهم ورهبانهم فاتخذوهم أربابا من دون الله . من هنا حذر الله من غلو أهل الكتاب وشنع عليهم فى

ذلك فقال ((يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق))(١)(قل ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل))(٢) ٠

واول شرك وقع فى الارض ـ هو سرت قوم نوح ـ كان سببه الغلو فى الصالحين ٠ جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس فى الحديث عن آلهتهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها باسمائهم ٠ ففعلوا ٠ ولم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم ، عبدت » ٠

وقال بعض السلف : لما ماتوا علقوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ٠

ومن هنا نعلم أن غلو بعض المسلمين فيمن يعتقدون صلاحهم وولايتهم لله وبخاصة أصحاب الأضرحة والمزارات ـ يؤدى الى أنواع من الشرك ، كالنذر لهم والذبح لهم والاستعانة بهم ، والاقسام بهم على الله ونحو ذلك ، وقد يفضى بهم الغلو الى الشرك الأكبر وهو اعتقاد ان لهم سلطة وتاثيرا فى الوجود ، وراء الأسباب والسنن الكونية ، فيدعون من دون الله أو مع الله ٠ وهذا هو الاثم العظيم والضلال البعيد ٠

---

(١) النساء : ١٧١.   (٢) المائدة : ٧٧

تعظيم القبــور

ومما حذر منه الاسلام أشد التحذير • تعظيم القبور ، وبخاصة قبور الأنبياء والصالحين ، ولذلك نهى عن جملة أشياء تفضى الى تعظيم القبور منها :

١ ـ اتخاذها مساجد :

روى مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم ن ذلك » •

وعن عائشه وابن عباس قالا « لمـا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم (اى فى حالة الاحتضار) طفق يطرح خميصة له على وجهه • فاذا اغتم كشفها ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحـذر ما صنعوا » متفق عليه •

٢ ـ الصلاة اليها • ففى الحديث :

« لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » رواه مسـلم •

أى لا تجعلوا القبور فى اتجاه القبلة •

٣ ـ اضاءتها وايقاد السرج عليها :

فى الحديث « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » •

٤ ـ البناء عليها وتجصيصها :

روى مسلم عن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر ، وان يقعد عليه وان يبنى عليه بناء » .

٥ ـ الكتابة عليها :

لحديث جابر « انه صلى الله عليه وسلم نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها » رواه ابو داود والترمذى .

٦ ـ تعليتها ورفعها :

لحديث على « أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه وامره الا يدع قبرا مشرفا الا سواه » . رواه مسلم .

كما جاء فى سنن أبى داود نهيه عليه السلام أن يزاد عليها غير ترابها من الأحجار والآجر ونحوها . ولهذا كان السلف يكرمون الآجر على قبورهم .

٧ ـ اتخاذها عيدا :

روى أبو داود عن أبى هريرة مرفوعا « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » .

وروى ابو يعلى بسنده عن على بن الحسين ، انه راى رجلا يجىء الى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ،

فيدخل فيها ويدعو ، فنهاه وقال : الا احدثكم حديثا سمعته عن ابى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لا تتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، فان تسليمكم يبلغنى حيث كنتم » ومعنى اتخاذ القبر عيدا قصده للاجتماع فيه والقعود عنده ونحو ذلك ٠

وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو افضل قبر على وجه الأرض ، فاذا نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره أولى بالنهى ، كائنا من كان ٠ ويكفى ان يصلى ويسلم على الرسول فتصله صلاته وسلامه حيثما كان ٠

الحكمة فى هذا التحذير

والحكمة فى نهى الاسلام عن تعظيم القبور انه ذريعة الى الشرك الاصغر والأكبر كما راينا فى قوم نوح وكما هو مشاهد الى اليوم٠فالغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا معبودة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ٠ (رواه مالك) ٠

ومما ياسف له كل مسلم غيور على دينه أن ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم قد وقع فيه كثير من اهل الاسلام٠ فقد اتخذوا قبور بعض الصالحين أعيادا ، وشيدوها وزخرفوها، وبنوا عليها المساجد والقباب ، واوقدوا عليها السرج والقناديل، ووقفوا لذلك الوقوف ، ونذروا لها النذور وطافوا بها كالكعبة ،

واستلموها كالحجر الاسود ، وأوسعوا جدرانها لثما وتقبيلا ، ومنهم من يسجد لها ، ويعفر الخدود على ترابها • ويقف خاشعا مستكينا ، يستغيث بأصحابها ، يسأله ـ مشافهة ـ قضاء الديون ، وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، وشفاء المرضى ، والنصر على الأعداء ، وبعضهم يقدم طلباته مكتوبة فى رقام الى صاحب القبر وهـذا من الشرك الصريح ولا حول ولا قـوة الا بالله •

التبرك بالشجر والحجر ونحوها

ومن الشرك الذى حاربه النبى صلى الله عليه وسلم التبرك بالأشجار والأحجار والقبور ونحوها • على اعتقاد أن لها سرا او بركة خاصة ، ينالها من يتمسح بها ، او طاف حولها، أو زارها او جلس اليها •• وهذا مما يفضى بمن فعله اذا تمادى فيه الى الشرك الأكبر • فان أصنام العرب الكبرى كانت اما صـخرة كاللات ، أو شجرة كالعزى ، أو حجرا كمناة • ولهذا حذر النبى منه وزجر عنه •

وقد روى الترمذى عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ـ ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة (شجرة نبق) يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط •• فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، انها السنن،

قلتم ـ والذى نفسى بيده ـ كما قالت بنو اسرائيل لموسى : (« اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون » (١)
لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه ٠

فالظاهر أنهم كانوا يريدون مجرد التبرك بهذه الشجرة وتعليق اسلحتهم عليها ، فزجرهم النبى صلى الله عليه وسلم الزجر الشديد ، سدا للذريعة الى الشرك ٠

ومما يؤسف له ان كثيرا من المسلمين قد انحرفوا عن هدى رسول الله واتبعوا سنن من كان قبلهم ، فاتخذوا لهم «انصابا» يتبركون بها ، يتمسحون بها ، ويدعون عندها ، ويتوسلون بها ، ويتعلقون بها ، تعلقا يشبه تعلق المشركين بالأصنام ٠ وكم فى بلاد المسلمين من « ذوات أنواط » مما زجر عنه نبيهم صلى الله عليه وسلم ٠

والواجب على المسلمين وعلى حكامهم وعلمائهم خاصة ازالة هذا المنكر وهدم هذه الأنصاب ومحوها من شجرة أو عمود ، أو قبر أو خشبة ، أو عين أو حجر أو غيرها ، اقتداء بما فعله النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث عليا وأمره بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض ٠ كما فى صحيح مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على رضى الله عنه « ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أدع تمثالا الا طمسته ، ولا قبرا مشرفا الا سويته » ٠

---

(١) الأعراف : ١٣٨

قال الامام أبو بكر الطرطوسى المالكى : « ولما بلغ عمر رضى الله عنه أن الناس يأتون الشجرة التى بايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلون عندها ، أرسل فقطعها ، خوفا على المسلمين من الفتنة » .

فاذا كان هذا فعل عمر بالشجرة التى ذكرها الله فى القرآن ، وبايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا يكون حكمه فيما عداها من هذه الانصاب والأوثان التى عظمت الفتنة بها . واشتدت البلية بها ! .

وقال الامام الطرطوسى : انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، ويضربون بها المسامير والخرق . فهى «ذات أنواط » فاقطعوها .

وعن المبرر بن سويد قال : « صليت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى طريق مكة صلاة الصبح ، فقرأ فيها ((ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل)) (١) و ((لايلاف قريش))(٢) ثم رأى الناس يذهبون مذاهب ، فقال أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين ، مسجد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم يصلون فيه فقال : انما هلك من قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس

---

(١) الفيل : ١ (٢) قريش : ١

وبيعا ، فمن ادركته الصلاة منكم فى هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها » ·

وهذا من فقه عمر رضى الله عنه وحرصه ـ على عقيدة العامة . وخشيته عليهم من الغلو والانحراف ·

الألفاظ الموهمة للشرك

ومما حذر منه النبى صلى الله عليه وسلم الألفاظ التى فيها ايهام للشرك واساءة للادب مع الله وذلك حماية منه لحمى التوحيد ·

(أ) من ذلك قول القائل : ما شاء الله وشاء فلان ، أو باسم الله واسم الأمير أو اسم الشعب ، وقد مر بنا انكار النبى صلى الله عليه وسلم لمن قال له ذلك · روى حذيفة عنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان» (رواه أبو داود بسند صحيح) ·

(ب) ومن ذلك قولهم : لولا الله وفلان ، أو اعتمدت على الله وعليك وما شابه هذه الألفاظ ، قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ((**فلا تجعلوا لله اندادا**))(١) الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل ، على صفاة سوداء ، فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتى ، وتقول : لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الرجل وفلان ·· هذا كله به شرك » (رواه ابن أبى حاتم) ·

---

(١) البقرة : ٢٢

(جـ) ومن ذلك التسمى باسماء الله تعالى او بما لا ينبغى الا لله ·

روى أبو داود عن ابى شريح انه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله هو الحكم واليه الحكم ، ثم كنى بولده ، شريح أكبر اولاده ·

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخنع اسم(١) عند الله رجل تسمى (ملك الأملاك لا مالك الا الله » قال سفيان بن عيينة مثل « شاهنشاه عند العجم لان معناها ملك الملوك » ·

وفى رواية : إغيظ رجل على الله يوم القيامة واخبثه ·

(د) ومن ذلك يسمى الانسان باسم معبد لغير الله كعبد الكعبة او عبد النبى ، أو عبد الحسين ، او عبد المسيح ، ونحو ذلك ، فقد نقل ابن حزم الاجماع على تحريم التسمية بذلك ، باستثناء عبد المطلب ·

(هـ) ومن ذلك : سب الدهر عند نزول الشدائد والنكبات بالناس · فان سب الدهر حينئذ كان نوعا من شكوى الله تعالى او السخط عليه ، فانه هو الذى يدبر الأمر ، ويقلب الليل والنهار ، وهو الفاعل لكل ما فى الكون من احداث ·

ولهذا جاء فى الحديث الصحيح « قال الله تعالى : يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر وانا الدهر ، أقلب الليل والنهار » ·

---

(١) أخنع اسم : أوضع اسم واذله ·

أثار التوحيد في الحياة

ان التوحيد الخالص من شوائب الشرك اذا تحقق فى حياة فرد أو قامت عليه حياة أمة آتى أينع الثمرات ، وحقق أنفع الآثار فى الحياة • ومن ثمرات التوحيد وآثاره :

(أ) تحرير الانسان

فالشرك بكل صوره ومظاهره ليس الا امتهانا للانسان ، واذلالا له ، حيث يلزمه الخضوع للمخلوقات ، والعبودية لأشياء أو أناس لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا •

أما التوحيد فهو فى الواقع تحرير للانسان من كل عبودية الا لربه الذى خلقه فسواه ، تحرير لعقله من الخرافات والأوهام ، وتحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام ، وتحرير لحياته من تسلط الفراعنة والأرباب والمتألهين على عباد الله •

ولهذا قاوم زعماء الشرك وطغاة الجاهلية دعوات الأنبياء عامة ، ودعوة الرسول خاصة ، لأنهم كانوا يعلمون أن معنى « لا اله الا الله » اعلان عام لتحرير البشر ، واسقاط لكل

الجبابرة من عروش تألههم الكاذب ، واعلاء لجباه المؤمنين فلا تطاطىء الا ساجدة لله رب العالمين .

(ب) تكوين الشخصية المتزنة

والتوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة ، التى تميزت فى الحياة وجهتها ، وتوحدت غايتها ، وتحدد طريقها ، فليس لها الا اله واحد تتجه اليه فى الخلوة والجلوة وتدعوه فى السراء والضراء ، وتعمل على ما يرضيه فى الصغيرة والكبيرة .

بخلاف المشرك الذى تقسمت قلبه الآلهة ، وتوزعت حياته المعبودات ، فحينا يتجه الى الله واحيانا الى الأصنام ، وحينا الى هذا الصنم وحينا الى ذاك .

ومن هنا قال يوسف عليه السلام : « **ياصاحبى السجن ، أارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار** » (١) وقال تعالى : « **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ؟** » (٢) مثل المؤمن يعبد له سيد واحد عرف ما يرضيه وما يسخطه ، فوقف عند ما يرضيه واستراح اليه ، ومثل المشرك يعبد له أكثر من سيد ، هذا يوجهه الى الشرق ، وذاك الى الغرب ، وهذا يأخذه الى اليمين وآخر الى اليسار ، فهم شركاء متشاكسون ، وهو بينهم مشتت موزع لا ثبات له ولا قرار .

---

(١) يوسف : ٣٩ .   (٢) الزمر : ٢٩ .

(ج) التوحيد مصدر لأمن النفس

والتوحيد يملأ نفس صاحبه أمنا وطمانينة ، فلا تستبد به المخاوف التى تتسلط على أهل الشرك ، فقد سد منافذ الخوف التى يفتحها الناس على أنفسهم ، الخوف على الرزق والخوف على الأجل ، والخوف على النفس ، والخوف على الأهل والأولاد ، والخوف من الانس ، والخوف من الجن ، والخوف من الموت ، والخوف مما بعد الموت ..

أما المؤمن الموحد فلا يخاف شيئا ولا أحدا الا الله ، ولهذا تراه آمنا اذا خاف الناس ، مطمئنا اذا قلق الناس ، هادئا اذا اضطرب الناس . وفى هذا يذكر القرآن حوار ابراهيم مع قومه المشركين ، حين خوفوه باصنامهم وآلهتهم الزائفة ، فرد عليهم متعجبا ومعجبا بقوله : **«وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟! فاى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟! »** (١) ثم بين سبحانه وتعالى من يستحق الأمن من الفريقين فقال : **« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم** (اى بشرك) **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »** (٢) وهذا الأمن ينبع من داخل النفس لا من حراسة الشرطة . وهذا أمن الدنيا . وأما أمن الآخرة فهو أعظم وأبقى ، لأنهم أخلصوا لله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك .

---

(١) الأنعام : ٨١ (٢) الأنعام : ٨٢

روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » قلنا : يارسول الله ، أينا لا يظلم نفسه ؟ قال ليس كما تقولون : او لم تسمعوا الى قول لقمان لابنه .

« يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » (١) .

فمعنى لم يلبسوا ايمانهم بظلم : انهم أخلصوا دينهم لله ، فلم يشوبوا توحيدهم بشرك .

(د) التوحيد مصدر لقوة النفس

والتوحيد يمنح صاحبه قوة نفسية هائلة ، لما تمتلىء به نفسه من الرجاء فى الله ، والثقة به ، والتوكل عليه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، والاستغناء عن خلقه ، فهو راسخ كالجبل لا تزحزحه الحوادث ولا تزعزه الكوارث .

كلما ألمت به نازلة ، أو حلت بساحته شدة رفض اللجوء الى الخلق ، واتجه بقلبه الى الخالق . اياه يسال ، ومنه يستمد ، وعليه يعتمد ، لا يرجو غيره ، فى كشف الضر ، وجلب الخير ، ولا يمد يده الى أحد الا الى الله ضارعا داعيا منيبا اليه .

شعاره قول النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس :

---

(١) لقمان : ١٣ .

« اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقوله تعالى :

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم » (١) •

الا ترى الى هود عليه السلام حين خوفه قومه بكيد الأصنام له قال« انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون • من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون ، انى توكلت على الله ربى وربكم ، ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها أن ربى على صراط مستقيم »(٢) منطق قوى ، يعبر عن نفس واثقة ، وعزيمة صلبة ، وايمان لا يهن ولا يستكين ، وروح لا تعرف الضعف ولا الخوف ، لأنها تستمد قوتها من التوكل على الله « ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » (٣)

(هـ) التوحيد أساس الاخاء والمساواة

واذا كان التوحيد يعد أساسا لحرية الانسان واشعاره بعزته وكرامته ، فهو أساس أيضا لاثبات الأخوة الانسانية والمساواة البشرية ، لأن الأخوة والمساواة لا تتحققان فى حياة الناس اذا كان بعضهم أربابا لبعض • فأما اذا كانوا كلهم

---

(١) يونس : ١٠٧ (٢) هود : ٥٤ ـ ٥٦

(٣) الأنفال : ٤٩

عباد الله ، فهذا هو اصل المساواة والاخاء بين الناس • ولهذا كانت دعوة رسول الله الى ملوك الأرض ورؤساء الدول تختم بهذه الآية الكريمة ((تعـالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)) (١) •

وكان من أدعية النبى صلى الله عليه وسـلم ـ عقـب الصلوات هذا الدعاء الرائع العظيم :

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، انا شهيد انك الله وحدك لا شريك لك •

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، انا شهيد أن محمـدا عبدك ورسولك •

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه انا شهيد ان العباد كلهم اخوة » •

وهذه الشهادات الثلاث المذكورة من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرتبط بعضها ببعض •

فاعلان الاخوة الانسانية العامة ، (أن العبـاد كلهم اخوة) مبنى على الشهادتين الأوليين • تفرد الله تعالى بالألوهية ، فلا شريك له ولا أرباب معه ، ولا يستحق الخضوع والعبادة غيره •

---

(١) آل عمران : ٦٤

وعبودية محمد صلى الله عليــه وسلم لله ، وتبليغه عنه ينفى عنه كل شبهة او رائحة للالوهية ، فليس الها ، ولا ابن اله ، ولا ثالث اله ، كما زعم النصارى للمسيح •

واذا تقررت هاتان الحقيقتان : الوهية الله وحده ، وعبودية الناس جميعا له ، وعلى راسهم محمد رسوله ومصطفاه ـ ترتب على ذلك تقرير الحقيقة الثالثة وهى : ان عباد الله اخوة متســاوون ، فلا تمييز عنصرى ، ولا تفرقــة بين الألوان ، ولا تفاضل بالانساب : **« ان اكرمكم عند الله اتقاكم »** (١) •

مفاسد الشرك واضراره

للشرك مفاسد واضرار كثيرة فى حياة الفرد والمجتمع اهمها :

ــ الشرك مهانة للانسانية

انه اهانة لكــرامة الانسان وانحطاط لقدره ومنزلتــه ، فقد استخلفه الله فى الأرض وكرمه وعلمه الأسماء كلها وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، وجعل له السيادة على كل ما فى هذا الكون ، ولكنه جهل قدر نفسه وجعل بعض عناصر هذا الكون ، الها معبودا يخضع له ويذل ويسجد ، وهو سيد الخليقة المطاع قال تعالى : **« ومن آياته الليــل والنهار والشمس والقمــر ، لا تســجدوا للشمس ولا للقمــر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »** (٢) •

---

(١) الحجرات : ١٣   (٢) فصلت ٣٧

واى اهانة للانسان أكثر من ان يرى - الى يومنا عذا - مئات الملايين من البشر يعبدون البقرة التى سخرها للانسان لتخدمه وهى صحيحة ، وياكلها وهى ذبيحة ، فاذا عى معبود مقدس ؟ ! ولهذا صور القرآن الكريم كيف ينحط الشرك باهله فقال « ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » (١) ٠

٢ ـ الشرك وكر للخرافات

الشرك وكـر للخـرافات والأباطيل ٠ لأن الذى يعتقـد بوجود مؤثر غير الله فى الكون من الكواكب أو الجن أو الأشباح أو الأرواح أو غير ذلك يصبح عقله مستعدا لقبول كل خرافة وتصديق كل دجال ٠ وبهذا تروج فى المجتمع المشرك بضاعة الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين وأشباه هؤلاء ممن يدعون معرفة الغيب ، والاتصال بالقوى الخفية فى الوجود ٠

كما يشيع فى مثل هذا المجتمع اهمال الأسبـاب والسـنن الكونية ، والاتكال على التمائم والرقى الشركية والسحـر والتولة ونحوها ٠

٣ ـ الشرك ظلم عظيم

الشرك ظلم عظـيم ٠ ظلم للحقيقـة ، وظـلم للنفـس ، وظلم للغير ٠

---

(١) الحج : ٣١ ٠

ظلم للحقيقة ، لأن أعظم الحقائق أن لا اله الا الله ولا رب غيره ، ولا حكم سواه ، ولكن المشرك اتخذ غير الله الها ، وبغى غير الله ربا ، وابتغى غيره حكما ٠

وظلم للنفس ، لأن المشرك جعل نفسه عبدا لمخلوق مثله او دونه ، وقد خلقه الله حرا ٠

وظلم للغير ، لأن من أشرك بالله غيره،فقد ظلمه ،حيث أعطاه من الحق ما ليس له ٠

٤ ـ الشرك مصدر للمخاوف

والشرك مصدر للمخاوف والأوهام ٠ كما أن التوحيد مصدر للامن والطمانينة ٠ فان الذى يتقبل عقله الخرافات ويصدق الأباطيل والترهات ، يصبح خائفا من جهات شتى من الآلهة وسدنة الآلهة ، ومن الأوهام التى ينشرها هؤلاء السدنة ، والكهنة ، وأتباعهم ، ويروجونها بين الناس ٠ لهذا ينتشر فى جو الشرك التطير والتشاؤم والرعب من غير سبب ظاهر كما قال تعالى ((**سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا**)) ٠(١) ٠

٥ ـ الشرك معطل لايجابية الانسان

والشرك معوق للعمل النافع ، معطل لايجابية الانسان واعتماده على نفسه ـ بعد الله ـ ذلك لانه يعلم اصحابه

---

(١) آل عمران : ١٥١

الاتكال على الشفعاء والوسطاء لهم يرتكبون الموبقات ، ويقترفون الآثام ، معتمدين على أن آلهتهم ستشفع لهم عند الله .

وهذا ما كان يعتقده مشركو العرب فى آلهتهم وأصنامهم ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله))(١) .

ومثل هؤلاء النصارى الذين يعملون ما شاء لهم الهوى من المنكرات معتقدين أن ربهم ـ المسيح ـ قد كفر عنهم الخطايا حين صلب ـ بزعمهم ـ وفدى البشر .

٦ ـ آثار الشرك فى الآخــرة

تلك هى آثار الشرك فى الدنيا اما فى الآخرة فيكفى انه الذنب الذى لا يقبل المغفرة بحال كما قال تعالى : ((ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما)) (٢) .

وليس للمشرك مصير الا النار . أما الجنة فحرام عليه أن يدخلها . قال تعالى : ((انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار))(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من لقى الله يشرك به شيئا دخل النار » .

---

(١) يونس : ١٨ .　　(٢) النساء : ٤٨ .

(٣) المائدة : ٧٢ .

محتويات الكتاب

الموضـــوع	صفحة

الموضــوع	صفحة

كتب للمؤلف

١ ـ الحلال والحرام فى الاسلام
٢ ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام
٣ ـ الايمان والحياة
٤ ـ الخصائص العامة للاسلام
٥ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا
٦ ـ الحل الاسلامى فريضة وضرورة
٧ ـ غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى
٨ ـ الصبر فى القرآن الكريم
٩ ـ العبادة فى الاسلام
١٠ـ فقه الزكاة (فى مجلدين)
١١ـ درس النكبة الثانية
١٢ـ عالم وطاغية
١٣ـ شريعة الاسلام
١٤ـ الناس والحق
١٥ ـ ثقافة الداعية
١٦ ـ التربية الاسلامية ومدرسة حسن البنا
١٧ ـ وجود الله
١٨ ـ حقيقة التوحيد
١٩ ـ نساء مؤمنات
٢٠ ـ هدى الاسلام : فتاوى معاصرة

رقم الايداع ١٩٥٩ / ١٩٧٩
الترقيم الدولى ٦ ـ ٧٨ ـ ٧٢٣٦ ـ ٩٧٧

مطبعـة
دار التراث العربى
١٣ حارة سعد اللة ـ الدرب الأحمر
ت ٩٣٦١٤٥